سلطان ناجي ـ ترجمة
عدن، مجلة الحكمة، العدد الرابع و التسعون، السنة الحادية عشر، 1981م

الأنظمة القبلية و التركيب الإجتماعي:
حالة اليمن الشمالي***

منذ نهاية الحرب الأهلية (1962م ـ 1970م) جذب اليمن الشمالي إهتمام، و في بعض الأحيان خيال، عدد متزايد من علماء ا لإجتماع. و معظم الدراسات الحالية تتعلق بظواهر المجتمع اليمني و التي لا بد أن تبدو غريبة للمراقبين الأجانب ألا و هي بقايا آثار ملحوظة لنظام قبلي معقد، أو التعايش المكاني بين مذهبي الزيدية و الشافعية، ثم التفوّق التقليدي للسادة سلالة الرسول ، و قد أعار علماء الأثنولوجيا و الأنثروبولوجيا أيضاً بعض ا لإهتمام للظواهر الشبيهة بنظام الطوائف ا لإجتماعية الهندي للتسلسل المهني الهرمي ضمن قطاعات معينة من التركيب ا لإجتماعي في اليمن و مما لاشك فيه أن هذه المعايير كا لإنتساب القبلي، أو التشيع لطائفة دينية، أو ا لإنتماء إلى سلالة نبيلة، أو حتى وراثة منزلة مهنية، كل هذه الأمور تقدم لنا طبقات إجتماعية و/ أو ثقافية ممتعة. و على أية حال فأن قيمتها كأدوات تحليلية تعتمد قبل كل شيء على ضوء التحليل المتبع. فإذا كان النظام السياسي هو الهدف، ف إن تلك المفاهيم التحليلية فقط ستكون و ثيقة الصلة التي هي جديرة بالكشف عن النظام السائد للطبقات في مجتمع معين. (فإذا أعتبرنا محور نظام الحكم كجماعة من أشخاص معترف بهم و الذين يصونون أيديولوجيتهم، طوعاً أو كرهاً، لتبرير سيطرتهم للوصول إلى الموارد القيمة للمجتمع بتعيين و تنظيم الأفراد و الجماعات و الأفراد الذين سيتنافسون حسب النظام المتبع للصراع السياسي، عندئذ ندرك الأهمية القصوى للنظام الطبقي للدولة) و هذا يعني أن الطبقات المذكورة أعلاه، و التي أتت إلى الوجود تحت ظروف ما قبل الدولة، يمكن إعتبارها و كأنها وثيقة الصلة سياسياً عند ترسيخ جذور الأساليب المتباينة للوصول إلى المراكز المختلفة المزايا وفقاً لمعاييرها التأسيسية فحسب. إن نموذج المجتمع المركب، الذي عادة ما يوصف في المقالات التثقيفية و أيضا العلمية حول اليمن الشمالي، بكل وضوح لا يفي بالمتطلبات التي تتدفق من هذا التصريح.

و يبدو أن معظم المؤلفين أصبحوا ضحية لإغراء (المجادلة من المظاهر الثقافية و العنصرية للحقائق الاجتماعية). و نظراً لتعليق لويس ديمونت بخصوص الهند، (بما أن هذه الدراسات تكون جزءاً من تاريخ الأمة)، إنه ليس إكراماً لعلم السياسية فحسب بل أيضا إكراماً لليمن ذاته يجب ا لإستفهام بدقة متناهية عن هذه الأنماط الجاهزة المكررة التي في آخر الأمر تؤدي إلى إخفاء إنشقاقات أخرى ربما أكثر أهمية في المجتمع اليمني.

إننا لن نحاول القيام هنا بمسح للبُنية ا لإجتماعية في اليمن الشمالي برمتها، و إنما سنركز بالأحرى نقاشنا على النمط القبلي الأساسي الذي عادة ما وصف ضمن منظور تاريخي.

فهناك مجموعة كبيرة من المعارك الأكاديمية الوهمية حول مالذي يكوّن أو لا يكوّن القبيلة. فمن البديهي حتى للمراقب العادي غير الأكاديمي بأنه توجد هناك إختلافات ملموسة مثلاً بين قبائل الهنود الحمر في هيلين الأمازون، و النوير في السودان، و القبائل البدوية العربية، و الأديفاسيس الهندية، و القبائل الأسترالية الأصلية، و هلُمّ جرّا.

إن ما تشترك به جميع هذه الأشكال الإجتماعية التي يُطلق عليها بغير تدقيق المصطلح (القبيلة) هو أنها ـ هذا إذا ما أستخدمنا القاسم المشترك الأصغر ـ أكثر تعقيداً و ديمومة من الجماعات الطارئة ذات التوجيه الوظيفي قصير المدى، و لكنها أقل تكاملاً و سيطرة عليها قسراً من الدول التي تتميز بدعواها الطبيعية للحسمية. و هذا يمكن أن يشرح صعوبات علم تطوّر دلالات الألفاظ: فإذا كان نفس المصطلح الواحد يُستخدم للدلالة على ما هو محتمل من ناحية التنظيم الإجتماعي بين الجماعة من جهة و الدولة من الجهة الأخرى فإن تفسيره بدقة لابد و أن يصبح موضع نزاع لا نهاية له. إن الحالة تعكس الإنهماك القديم للعلم و الفلسفة بالدولة، و التي كل أنواعها و أصنافها المعروفة قد تم تحديدها بدقة و إحكام.

.....

* ترجمة لدراسة البروفيسور هانس كروز بعنوان: TRIBAL SYSTEMS AND SOCIAL STRATIFICATION : The Case of North Yemen المنشورة في المجلة الهندية للعلوم السياسية ، المجلد (2)، العدد(3)،سنة 1979م .

** البرفيسور هانس كروز عمل كرئيس للخبراء و المشروع الألماني ـ المعهد القومي للإدارة العامة بصنعاء.

*** تم عرض و نشر جزء من هذه الترجمة ضمن سلسلة حلقات بعنوان: تحليل المجتع اليمني . (للمزيد راجع: "قائمة الأعمال").

سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني

العدد - ٩٤ السنة الحادية عشرة اغسطس / سبتمبر ١٩٨١

الحكمة اليمانية

علوي

في محتويات العدد

- بلغت التاسعة عشرة
- اول المتحررين
- ثورة ٤٨ والخلاف بين الاحرار
- الاتحاد اليمني
- عاشق المخطوطات